ليتها ما وقفت

ذهب صابر - مدرس اللغة الإنجليزية – إلى الإدارة للاستفسار عما تم بتظلمه الذى قدمه ملتمسا سحب قرار الجزاء بخصم خمسة عشر يوما من راتبه ظلما وعدوانا بناء على مذكرة شديدة اللهجة رفعها مدير المدرسة متهما إياه بالخروج على مقتضى الواجب الوظيفى وابتكاره أساليب حديثة للتدريس غير مألوفة وهجره طريقة التدريس الموروثة من عشرات السنين ، بينما كل ما فعله هو تبسيط المنهج فى صورة أغان ومسرحيات هادفة .

أخذ " صابر " ينتقل من مكتب إلى مكتب صاعدا عدة أدوار على قدميه ثم يهبطها مرة أخرى دون التوصل إلى المسئول الذى يقبع تظلمه فى ظلمة أدراج مكتبه حتى نال منه التعب فوقف مكتئبا فى إحدى الطرقات لا يدرى ماذا يفعل .

أشارت إليه موظفة – شابة ممشوقة القوام توحي قسمات وجهها بأنها مرهفة الحس ، تفوح من جسدها رائحة الأنوثة الطاغية ، ينبعث من عينيها بريق لا يقاوم – اقترب منها فى وجل وهو يختلس بعض النظرات من خلال فتحة صغيرة تتعامل من خلالها مع جمهور المترددين عليها ، بادرته بالسؤال عن مطلبه وعلى الفور أخبرته باسم المسئول عن بحث تظلمه ودونت اسمه وبعض البيانات التى أدلى بها فى قصاصة ورق أمامها ، ووعدته أنها سوف تتابع تظلمه حتى يتم رفع الظلم عنه ، وكلفت أحد السعاة باصطحابه إلى مكتب ذلك المسئول .

ظل " صابر " يتردد على الإدارة عدة شهور ، وفى كل مرة ينعم بالنظر إلى وجهها الملائكى ويستمتع بصوتها الأنثوى خفيض النبرات الذى ينسكب من بين شفتيها يدغدغ الحواس ويبعث البهجة فى النفوس ، وهو يمنى نفسه بالاقتران بها وإن كان ينتابه إحساس أن مطلبه هذا بعيد المنال .

عقد " صابر " العزم على طلب يدها فلم يعد يقوى على الصبر أكثر من ذلك ، وتوجه على الفور إلى الإدارة ، وما كاد يقترب من مكتبها حتى لمح البِشر يفوح من وجهها بمجرد أن رأته وبادرته فى حرارة متدفقة قائلة :

- مبروك تم قبول تظلمك ورفع الجزاء والقرار فى النسخ سأحضر لك صورة منه حالا .

والتقطت عكازين تأبطتهما وشبت واقفة .. رآها " صابر " تتأرجح وسط عكازيها إنها مبتورة الساقين .. فتسمر فى مكانه وانسكبت على وجنتيه دمعتان كبيرتان وتوارت أهازيج الفرح خلف آهات الحزن وتمزقت خيوط الأمل واحتبست صرخة فى حلقومه وأشار إليها بالجلوس ، وبصوت محشرج أخبرها أنه لم يعد فى حاجة إلى رفع الجزاء فقد قدم استقالته اليوم قبل مجيئه ، وأخذ يتمتم سرا وهو يتأمل ذلك الجمال المكلوم :

- الحمد لله الذى عافانا مما ابتلاك به وفضلنا على كثير مما خلق تفضيلا .